سلسلة فقه العلاقات البشرية: (2) "هل العلاج النفسى "مَكْلَمَة"؟) (10)

الفصل الثانى: (اللوحات) اللوحة الرابعة "الموت السرّى المِتْدحلب"

نشرة "الإنسان 2023/05/20
السنة السادسة عشر – العدد: 5740

بروفيسور يحيى الرخاوي – الطب النفسي، مصر
yehiatrakhawy@hotmail.com

المواجهة أثناء العلاج النفسى بأن الوجود المغترب (مرضاً أو فرطَ عادية) هو موت نفسى بشكل أو بآخر، تعتبر أحيانا من الصدمات العلاجية المفيدة إذا ما ضبطت الجرعة

الحياة التراكمية الاغترابية (العادية) تواصل مسيرتها بسلسلة من الرشاوى التسكينية والنكوصية، وبالتالى يتمادى الخمود حتى الموت (توقف النمو) تحت غطاء من اللذائذ المؤقتة المنفصلة عن بعضها، وعن عائدها

نقرأ المتن كله أولا:

(1)

لا يـاعْم !!.كده أحسن....،

.....

أصل الموت علناً بيخُضْ.

ولا حدْ يقول، ولاحد يْرَدْ.

ولا فيه مزّيكا،

ولا جنس يا ويكا،

ولا فيه كْلْ واشكُرْ بالفستقْ،

ولا كفتهْ وكبدة وحتةْ كيف،

ولا فيه تصنيف.

(2)

خلّينا كده نلعب فى السر،

قال إيه عايشين.

وأقول: "أنا رأيى ياجماعة".

وكإنّى عندى رأى صحيحْ.

وراح اعمل زى ما اكون باخْتارْ.

أو أرفعْ حاجبى وانا مِحتارْ.

كده،.. شبـَه الجـدْ.

(3)

يا أخينا:

لما انت عرفت انى ميّت، بتقرّب ليه؟

ماتكونشِى عايز تتفرّج؟

على إيه؟

عايـز تعرف ازاى المّيت بيحسّ.

إزاى بيطلّع حس.

ولاّ حاتاخد تفاصيل النَـعْى؟

تكتب إعلان وبخط اسود وببنط عريض:

"إن المرحوم كان واحد بيه،

ولاخدْشِى نصيبُه فى الدنيا ويا عينى عليه.

والمعزّى من ستةْ لتسعةْ،

بـمَعادْ سابق."

(4)

بس ما تنِْساش:

ضرب المّيت أكبر حُـرمـَه.

إزرعْ صبّار جنب التربةْ،

والشيخ "عارفْ" يقرا سورة "الإنسان".

أولا: الاغتراب فى لذة ظاهرة أحد مظاهر الموت النفسى:

المواجهة أثناء العلاج النفسى بأن الوجود المغترب (مرضاً أو فرطَ عادية) هو موت نفسى بشكل أو بآخر، تعتبر أحيانا من الصدمات العلاجية المفيدة إذا ما ضبطت الجرعة، أما إذا زادت جرعة التعرية أو اختيا التوقيت المناسب، فالنتائج قد تكون مضاعفات معيقة أهمها خطر الرؤية المعجزة نتيجة للألم المفرط.

الحياة التراكمية الاغترابية (العادية) تواصل مسيرتها بسلسلة من الرشاوى التسكينية والنكوصية، وبالتالى يتمادى الخمود حتى الموت (توقف النمو) تحت غطاء من اللذائذ المؤقتة المنفصلة عن بعضها، وعن عائدها.

عنوان هذه القصيدة" **الموت السرى المتدحلب**"، يشير إلى أن هذا الموت لا يسمى موتا عادة، حيث أنا يتسحب تحت عناوين شديدة الرشاقة بالغة الإغواء، مثل اللهو التفريغى الصاخب، أو الجنس اللذى يما لذا" **ولا فيه مزّيكا – أو جنس يا ويكا.**"

بل إن لذة الأكل أو تعاطى المسكرات، قد تنضم بشكل أو بآخر إلى هذه النشاطات المغتربة حين تصبح أهدافا فى ذاتها.

"كلْ واشكر" شامى بالفستق،

أو كفتة وكبده وحته كيف."

كل ذلك قد يندج تحت بند الرفاهية واللذة والمتعة والترييح، ليكن، ولنعترف أنا لا يوجد ما يدعو فى الحياة العادية أن نرفض بعض ذلك أو أن ننكر حقنا فيا "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَاللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ"، لكنا حق مشروط بالتفرقة بين الغاية والوسيلة، بين حق المتعة تصعيدا إلى متعة أرقى

عنوان هذه القصيدة "الموت السرى المتدحلب"، يشير إلى أن هذا الموت لا يسمى موتا عادة، حيث أنه يتسحب تحت عناوين شديدة الرشاقة بالغة الإغواء، مثل اللهو التفريغى الصاخب، أو الجنس اللذى يمارس لذاته

لنعترف أنه لا يوجد ما يدعو فى الحياة العادية أن نرفض بعض ذلك أو أن ننكر حقنا فيه "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَاللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ"، لكنه حق مشروط بالتفرقة بين الغاية والوسيلة، بين حق المتعة تصعيدا إلى متعة أرقى فأرقى، وبين المتعة اللذيه الاختزالية المكررة كنهاية للمطاف.

كثيرا من الأمراض النفسية إنما ظهرت لتعلن، أو على الأقل تعرّى، التوقف عند هذه المرحلة اللذية التراكمية المغتربة

يعلن المتن تلك المقارنة بين الموت سرًا، بالإستغراق فى لذة مخدرة مغتربة، وبين الموت المتسحبِ على مسار

فألفى، وبين المتعة اللذيذة الاختزالية المكررة كنهاية للمطاف.

هذا العمى الجيد فى الحياة العادية يصبح معطلا فى العلاج النفسى، لأن كثيرا من الأمراض النفسية إنما ظهرت لتعلن، أو على الأقل تعرّى، التوقف عند هذه المرحلة اللذية التراكمية المغتربة، الاعتراف للمريض بأنه على حق فى رفضه هذا، برغم فشله فى إعطاء البديل، قد يجعل بصيرته تحتد أكثر فأكثر فيتمادى المعالج فى إعلان أن كل هذه المظاهر هى نوع من الموت الذى علينا – بالعلاج – أن نتحفز لرفضه، لكن ليس بالمرض ولكن بفرصة العلاج.

وهنا يعلن المتن تلك المقابلة بين الموت سرًّا، بالإستغراق فى لذة مخدرة مغتربة، وبين الموت المتسحبِ على مساره المرض السلبى، وبين التسليم لموت اغترابى تحت أسماء تدليل خبيثة.

لا يـاعم.!! كده أحسن....،

.....

أصل الموت علناً بيخُضْ.

ولا حدْ يقول، ولاحد يردْ.

ولا فيه مزّيكا،

ولا جنس يا ويكا،

ولا فيه كل واشكر بالفستقْ،

ولا كفتة وكبدة وحتةْ كيف،

ولا فيه تصنيف.

ثانيا: تشكيلات أخرى للاغتراب

يعرّى لسان حال داخل المريض فى "المتن" بعد ذلك تشكيلات أخرى لتجليات الاغتراب، ففى الفقرة التالية ينبه بسخرية أيضا إلى لعبة الاغتراب فى الكلام وفى المناقشات وفى تبادل الآراء بلا آراء (طق حنكْ)، وفى مظاهر الاختيار بلا حرية حقيقية لا تتجلى إلا فى وجود بدائل للقرارات المطلوب الاختيار فيما بينها، وقدرة على التمييز، ثم على الحسم، ثم على اختبار نتيجة الاختيار، ثم على تحمل مسئولية هذه النتيجة واحتمال إعادة الاختيار ..إلخ، بدون كل ذلك يصبح الاختيار مظهراً خادعا يُضم إلى تشكيلات الاغتراب (موتا سريا متدْحلِباَ) حتى لو سمّى حرية.

خلّينا كده نلعب فى السر،

قال إيه عايشين.

وأقول: "أنا رأيى ياجماعة".

وكإنى عندى رأى صحيح.

وراح اعمل زى ما اكون باخْتارْ.

أو أرفع حاجبى وانا مِحتارْ.

كده،.. شبـَه الجـدْ.

ثالثا: التجاوب الظاهرى وخطورة الإيلام دون فِعْل

على الطبيب المعالج ألا ينخدع فى التعبيرات الظاهرة مهما كانت واضحة أو فى الاختيارات الكلامية ما دامت لم تُختَبَر، ثم متى ظهرت الأمور هكذا فى سياق العلاج النفسى أصبحت مهمة الطبيب (المعالج) أن يواصل التحرك بعد التعرية آملا فى عرض بدائل علاجية نمائية، وهنا يتجلى مأزق اختيار جديد:

إذا توقف العلاج عند مرحلة تعرية هذه التشكيلات العادية (الرائعة) باعتبارها أنها ليست إلا اغترابا مكافئا لموت تخديرىّ (فرط الدفاعات المسكِّنة)، وأن المرض لم يظهر إلا لأن داخل المريض رفضها قبل

المرض السلبى، وبين التسليم لموت اغترابى تحت أسماء تدليل خبيثة

فى مظاهر الاختيار بلا حرية حقيقية لا تتجلى إلا فى وجود بدائل للقرارات المطلوب الاختيار فيما بينها، وقدرة على التمييز، ثم على الحسم، ثم على اختبار نتيجة الاختيار، ثم على تحمل مسئولية هذه النتيجة واحتمال إعادة الاختيار.. إلخ، بدون كل ذلك يصبح الاختيار مظهراً خادعا يُضم إلى تشكيلات الاغتراب (موتا سريا متدْحلِباَ) حتى لو سمّى حرية.

على الطبيب المعالج ألا ينخدع فى التعبيرات الظاهرة مهما كانت واضحة أو فى الاختيارات الكلامية ما دامت لم تُختَبَر

إذا توقف العلاج عند مرحلة تعرية هذه التشكيلات العادية (الرائعة) باعتبار أنها ليست إلا اغترابا مكافئا لموت تخديرىّ (فرط الدفاعات المسكِّنة)، وأن المرض لم يظهر إلا لأن داخل المريض رفضها قبل أن يقوم العلاج بتعريتها، أو

أن يقوم العلاج بتعريتها، أو بإكمال تعريتها حدّ الألم، إذا توقف العلاج عند هذه المرحلة دون مشاركة حقيقية من المعالج تصبح المسألة أقرب إلى الفرجة والتجريح، أكثر منها مواكبة ومواجدة علاجية.

وقد يلتقط المريض ذلك منبّها (كما جاء فى المتن) باحتجاج ساخر – من داخل – إلى سلبية إعلان هذه الرؤية بمجرد تسميتها وكأن فى ذلك إعلان لرفض الاغتراب، دون طرح بديل، من هنا تأتى صرخة لسان حال المريض ورفضه، ومن ثم السخرية من هذا الموقف العلاجى المجهض المتوقف عند الكشف، والوصف، والتغيير ولمّا التبرير.

هذا التحذير الساخر هو تعرية أخرى للعلاقة العلاجية الرسمية" **من سته لتسعة، بميعاد سابق** "حين يُفرغ العلاج من المواجدة والمواكبة، لحساب تسمية المرضى بأسماء تشخيصية أو إعلان الوفاة والتحسر على ما آلت إليه حركة من سكون هامد (حتى بوصف النفسمراضية للسيكوباثولوجى)، تصبح المسألة كأنها عرْض لمشاهدة دامية تستحق الفرجة،

يواصل لسان حال المريض مواجهة داخل الطبيب (المعالج) قائلا:

يا أخينا:

لما انت عرفت انى ميّت، بتقرّب ليه؟

ماتكونشِى عايز تتفرّج؟

على إيه؟

عايـز تعرف ازاى المّيت بيحسّ.

إزاى بيطلّع حِسّ.

ولاّ حاتاخد تفاصيل النَّعْى؟

تكتب إعلان وبخط اسود وببنط عريض:

"إن المرحوم كان واحد بيه،

ولاخدْشِى نصيبُه فى الدنيا ويا عينى عليه.

والمعزى من ستة لتسعة،

بـ "معاد سابق."

رابعا: إما الألم فالنمو – وإما الموت – بالإنسحاب التسليمى المحتج:

أحيانا يصل يأس المريض من المعالج إلى الإقرار باستحالة تحريك الجمود المتحوصل داخل سياج من الدفاعات الاغترابية، وهنا يصبح التمادى فى تعتعة حركية النمو **نوعا من مضاعفة الألم بلا أمل،** ومن ثَمَّ يقفز المتن ناهيا عن مثل هذا العبث بمعنى:

إما محاولة متواصلة جادة تحت كل الظروف باعتبار أن هذا الألم المترتب على السخرية هو ثمن مشروع وهو إشارة خضراء – رغم المعاناة – داعية للتحريك بقدر بذل الجهد ومواصلة الصحبة.

وإما تسليم طيب بحق المريض فى اختيار الدفاعات التى تناسبه، حتى لو كان المرض هو الذى بدأ بتعريتها، وليس من حق المعالج فى هذه الحال أن يسمى هذه الدفاعات موتا مادام لم يواصل مع المريض ليحققا البديل.

وبألفاظ أخرى:

إما التسليم بحق الاغتراب) السائد فى الحياة العادية(،

وإما مواصلة مسيرة النمو العلاجى بلا توقف أبدا.

هذا وإلا: فالمسألة (العلاج) تصبح بلا طائل إلا الإيلام والتنظير والمعرفة المُعقْلنة حتى لو تخفّى تحت مظلة الشفقة واحترام الواقع.

بس ما تنِساش:

بإكمال تعريتها حدّ الألم .

إذا توقف العلاج عند هذه المرحلة دون مشاركة حقيقية من المعالج تصبح المسألة أقرب إلى الفرجة والتجريح، أكثر منها مواكبة ومواجدة علاجية

أحيانا يصل يأس المريض من المعالج إلى الإقرار باستحالة تحريك الجمود المتحوصل داخل سياج من الدفاعات الاغترابية، وهنا يصبح التمادى فى تعتعة حركية النمو نوعا من مضاعفة الألم بلا أمل

إما محاولة متواصلة جادة تحت كل الظروف باعتبار أن هذا الألم المترتب على السخرية هو ثمن مشروع وهو إشارة خضراء – رغم المعاناة – داعية للتحريك بقدر بذل الجهد ومواصلة الصحبة

إما تسليم طيب بحق المريض فى اختيار الدفاعات التى

تناسبه، حتى لو كان المرض هو الذى بدأ بتعريتها، وليس من حق المعالج فى هذه الحال أن يسمى هذه الدفاعات موتا مادام لم يواصل مع المريض ليحققا البديل

إما التسليم بحق الاغتراب (السائد فى الحياة العادية)، وإما مواصلة مسيرة النمو العلاجى بلا توقف أبدا

ضرب الميّت أكبر حُرمه.

إزرع صبّار جنب التربة،

والشيخ "عارف" يقرا سورة "الإنسان"[3]

وقد يلتقط لسان حال المريض التراجع، فهو هنا ينهى عن مواصلة المحاولة ما دام المعالج ليس على قدها، فما الداعى للتوقف عند محطة الألم، وهذا لسان حال من يعلن ذلك.

.....

.....

ونواصل الأسبوع القادم بعرض **اللوحة الخامسة** " **لله ياسْيادى**"!!!!.....

- [1] يحيى الرخاوى: (2018) كتاب "فقه العلاقات البشرية" (2) (عبر ديوان: "أغوار النفس") **"هل العلاج النفسى "مَكْلَمَة"؟ (سبع لوحات")**، الناشر: جمعية الطب النفسى التطورى - القاهرة.

- [2]كما أشرت سابقا فى الكتاب الأول وفى هامش "3"، كان اسم هذه اللوحات" **جنازات"**، وكان المقصود بها أن أقدم كيف يمكن أن يساء فهم العلاج النفسى على أنه تفسير وتبرير وتسكين، وكيف أن هذا بمثابة وقف النمو بما يمكن أن يقابل" **الموت النفسى"**، إلا أننى وجدت نفورا من الاسم، ومبالغة فى التصوير، ففضلت مصطلح" **لوحات"** تصف كل هذه الأحوال (لا الحالات) التى أوحت لى بعطاء هذا العمل.

- [3]غيّرت كلمة فى هذا الشطر، فقد كان الأصل فى الديوان "سورة الرحمن" لكننى انتبهت إلى خطئى فى الاستشهاد، وجعلتها "سورة الإنسان" لأنزع عنها التقديس من ناحية، ولتصبح أقرب إلى السياق من ناحية أخرى.

إرتباط كامل النص مع المقتطفات:
http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD200523.pdf

إرتباط كامل النص
https://rakhawy.net/%d8%b3%d9%84%d8%b3%d9%84%d8%a9-%d9%81%d9%82%d9%87-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%82%d8%a7%d8%aa-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b4%d8%b1%d9%8a%d8%a9-2-%d9%87%d9%84-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d9%84%d8%a7-5/

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي
http://www.arabpsynet.com/

المتجر الالكتروني
http://www.arabpsyfound.com

الكتاب السنوي 2023 لـ " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الثالث عشر)

الشبكة تدخل عامها 23 من التأسيس و 20على الويب

23 عاما من الكدح... 20 عاما من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf